ترجمة الامام الشاطبي

من كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديباج [١]

هو ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي ابو اسحاق الشهير بالشاطبي. الامام العلامة ، المحقق القدوة ، الحافظ الجليل المجتهد ، كان أصوليًّا مفسرا ، فقيها محدثا ، لغويا بيانيًّا ، نظارا ثَبْتاً ، ورعا صالحا ، زاهدا سنيًّا ، اماما مطلقا ، بحاثا مدققا ، جدليا بارعا في العلوم ، من افراد العلماء المحققين الاثبات ، واكابر الأئمة المتفننين الثقات ، له القدم الراسخ والامامة العظمى في الفنون ـ فقها وأصولا ، وتفسيرا وحديثا ، وعربية وغيرها ـ مع التحرّي والتحقيق ، له استنباطات جليلة ، ودقائق منيفة ، وفوائد لطيفة ، وابحاث شريفة ، وقواعد محررة محققه ، على قدم راسخ من الصلاح والعفة والتحري والورع ، حريصا على اتباع السنة ، مجانبا للبدع والشبهة ، ساعيا في ذلك مع تثبت تام ، منحرفا عن كل ما ينحو للبدع واهلها ، وقع له في ذلك امور مع جماعة من شيوخه وغيرهم في مسائل .

وله تآليف جليلة ، مشتملة على ابحاث نفيسة ، وانتقادات وتحقيقات شريفة .

قال الامام الحفيد ابن مرزوق في حقه : انه الشيخ الاستاذ الفقيه الامام المحقق العلامة الصالح ، ابو اسحاق . انتهى ، وناهيك بهذه التحلية من مثل هذا الامام ، وانما يعرف الفضل لأهله اهله .

اخذ العربية وغيرها عن أئمة ، منهم الامام المفتوح عليه في فنها ما لا مطمع فيه لسواه ، بحثا ، وحفظا ، وتوجيها ، ابن الفخّار الأَبْيَري . لازمه الى ان مات ، والامام الشريف رئيس العلوم اللسانية ، ابو القاسم السَّبْتي ، شارح مقصورة حازم ، والامام المحقق اعلم اهل وقته ، الشريف ابو عبد الله التلمساني ، والامام علامة وقته باجماع ، ابو عبد الله المقري ، وقطب الدائرة ، شيخ الجلة ، الامير الشهير ، ابو سعيد ابن لبّ ، والامام الجليل ، الرحلة الخطيب ، ابن مرزوق الجد ، والعلامة المحقق

---

(١) تأليف أحمد بن أحمد بن عمر اقيت المعروف بابا التكروري ثم التنبكي المولود سنة ٩٦٣ والمتوفى سنة ١٠٣٢

المدرس الاصولي ، ابو علي منصور بن محمد الزواوي ، والعلامة المفسر المؤلف ابو عبد الله البلَنسي ، والحاج العلامة الرحلة الخطيب ابو جعفر الشقوري . ومن اجتمع معه ، واستفاد منه ، العالم الحافظ الفقيه ، ابو العباس القبَّاب ، والمفتي المحدث ابو عبد الله الحفار ، وغيرهم .

اجتهد وبرع ، وفاق الاكابر ، والتحق بكبار الأئمة في العلوم ، وبالغ في التحقيق ، وتكلم مع كثير من الأئمة في مشكلات المسائل من شيوخه وغيرهم ، كالقبَّاب ، وقاضي الجماعة الفِشْتالي ، والامام ابن عرفة ، والولي الكبير ابي عبد الله بن عباد . وجرى له معهم ابحاث ومراجعات ، اجلت عن ظهوره فيها ، وقوة عارضته وامامته ، منها مسئلة مراعاة الخلاف في المذهب [1] فيها له بحث عظيم ، مع الامامين القباب وابن عرفة . وله ابحاث جليلة في التصوف وغيره . وبالجملة فقدره في العلوم فوق ما يذكر ، وتحليته في التحقيق فوق ما يشهر .

الّف تواليف نفيسة ، اشتملت على تحريرات للقواعد ، وتحقيقات لمهمات الفوائد . منها شرحه الجليل على الخلاصة في النحو ، في اسفار أربعة كبار ، لم يؤلف عليها مثله بحثا وتحقيقا فيما اعلم . وكتاب (الموافقات) في أصول الفقه سماه « عنوان التعريف باصول التكليف » كتاب جليل القدر جدا لا نظير له ، يدل على امامته ، وبعد شأوه في العلوم ، سيما علم الاصول . قال الامام الحفيد بن مرزوق : كتاب الموافقات المذكور ، من انبل الكتب ، وهو في سفرين . وتأليف كبير نفيس في الحوادث والبدع في سفر في غاية الاجادة ، سماه (الاعتصام) وكتاب (المجالس) شرح فيه كتاب البيوع من صحيح البخاري . فيه من الفوائد والتحقيقات ، مالا يعلمه الا الله . وكتاب (الافادات والانشادات) في (كراسين فيه طرف وتحف ، وملح ادبيات وانشادات . وله ايضا كتاب (عنوان الاتفاق ، في علم الاشتقاق) وكتاب (أصول النحو) ، وقد ذكرهما معا في شرح الألفية . ورأيت في موضع آخر انه اتلف الاول في حياته وان الثاني اتلف ايضا . وله غيرها ، وفتاوي كثيرة

ومن شعره لما ابتلي بالبدع :

(١) اشار الى هذه المسألة في المقدمة الثالثة عشرة من كتاب الموافقات

بليت يا قوم والبلوى منوّعة　　بمن اداريه حتى كاد يرديني
دفعَ المضرة لا جلبا لمصلحة　　فحسبي الله في عقلي وفي ديني

انشدها تلميذه الامام ابو يحيى بن عاصم له مشافهة .

اخذ عنه جماعة من الأئمة كالامامين العلامتين ، ابي يحيى بن عاصم الشهير ، واخيه القاضي المؤلف ابي بكر بن عاصم ، والشيخ ابي عبد الله البياني ، وغيرهم . وتوفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة تسعين وسبعمائة ولم اقف على مولده رحمه الله .

(فائدة) وكان صاحب الترجمة ممن يرى جواز ضرب الخراج على الناس ، عند ضعفهم وحاجتهم ، لضعف بيت المال عن القيام بمصالح الناس ، كما وقع للشيخ المالقي في كتاب الورع . قال: توظيف الخراج على المسلمين من المصالح المرسلة ، ولا شك عندنا في جوازه ، وظهور مصلحته في بلاد الاندلس في زماننا الآن ، لكثرة الحاجة لما يأخذه العدوّ من المسلمين ، سوى ما يحتاج اليه الناس ، وضعف بيت المال الآن عنه ، فهذا يقطع بجوازه الآن في الأندلس ، وانما النظر في القدر المحتاج اليه من ذلك ، وذلك موكول الى الامام ، ثم قال اثناء كلامه : ولعلك تقول كما قال القائل لمن اجاز شرب العصير بعد كثرة طبخه وصار ربًّا : احللتها والله يا عمر . يعني هذا القائل احللت الخمر بالاستجرار الى نقص الطبخ ، حتى تحل الخمر بمقالك ، فاني اقول – كما قال عمر رضي الله عنه : والله لا احل شيئا حرمه الله ، ولا احرّم شيئا احله ، وان الحق احق ان يتبع ، (ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه)

وكان خراج بناء السور في بعض مواضع الاندلس في زمانه موظفا على اهل الموضع ، فسئل عنه امام الوقت في الفتيا بالاندلس الاستاذ الشهير ابو سعيد ابن لبّ ، فأفتى انه لا يجوز ولا ينوغ ، وافتى صاحب الترجمة بسوغه ، مستندا فيه الى المصلحة المرسلة ، معتمدا في ذلك الى قيام المصلحة ، التي ان لم يقم بها الناس فيعطونها من عندهم ضاعت . وقد تكلم على المسئلة الامام الغزالي في كتابه ، فاستوفى . ووقع لابن الفراء في ذلك مع سلطان وقته وفقهائه كلام مشهور ، لا نطيل به .

وكتب جوابا لبعض اصحابه في دفع الوسواس العارض في الطهارة وغيرها

« وصلني جوابكم فيما تدفعون به الوسواس، فهذا امر عظيم في نفسه ، وانفع شيء فيه المشافهة ، واقرب ما اجد الآن ، ان تنظروا من اخوانكم من تدلون عليه وترضون دينه، ويعمل بصلب الفقه ، ولا يكون فيه وسوسة ، فتجعلونه امامكم على شرط أن لا تخالفوه ، وان اعتقدتم ان الفقه عندكم بخلافه . فاذا فعلتموه رجوت لكم النفع . وان تواظبوا على قول « اللهم اجعل لي نفسا مطمئنة توقن بلقائك ، وتقتنع بعطائك، وترضى بقضائك ، وتخشاك حق خشيتك، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم » فانه نافع للوسواس ، كما رأيته في بعض المنقولات .

وكان يقول : لا يحصل الوثوق والتحقيق بشأن الرواية في الأكيال المنقولة بالأسانيد . واختبرت ذلك فوجدت الأكيال مختلفة ، متباينة الاختلاف ، وهي ذوات روايات ، فالكيل الشرعي تقريبا منقول عن شيوخ المذهب ، يدركه كل احد، حفنة من البر أو غيره بكلتا اليدين مجتمعين، من ذوي يدين متوسطتين، بين الصغري والكبرى ، فالصاع منها اربع حفنات ، جربته فوجدته صحيحا . فهذا الذي ينبغي ان يعول عليه، لانه مبني على اصل التقريب الشرعي، والتدقيقات في الامور غير مطلوبة شرعا ، لانها تنطع وتكلف ، فهذا ما عندي .

ومن كلامه : اما من تعسف وطلب المحتملات ، والغلبة بالمشكلات ، واعرض عن الواضحات ، فيخاف عليه التشبه بمن ذمه الله في قوله (فاما الذين في قلوبهم زيغ) الآية .

وكان لا يأخذ الفقه الا من كتب الاقدمين ، ولا يرى لأحد ان ينظر في هذه الكتب المتأخرة ، كما قرره في مقدمة كتابه الموافقات وترد عليه الكتب في ذلك، من بعض اصحابه ، فيوقع له : واما ماذكرتم من عدم اعتمادي على التآليف المتأخرة ، فليس ذلك مني محض رأي ، ولكن اعتمدته بحسب الخبرة عند النظر في كتب المتقدمين مع المتأخرين كابن بشير ، وابن شاس ، وابن الحاجب ، ومن بعدهم ، ولان بعض من لقيته من العلماء بالفقه، اوصاني بالتحامي عن كتب المتأخرين ، واتى بعبارة خشنة ولكنها محض النصيحة ، والتساهل في النقل عن كل كتاب جاء لا يحتمله دين الله . ومثله ما اذا عمل الناس بقول ضعيف ، ونقل عن بعض

الأصحاب ، لا تجوز مخالفته ، وذلك مشعر بالتساهل جدا ، ونص ذلك القول لا يوجد لاحد من العلماء فيما اعلم .

والعبارة الخشنة التي اشار اليها ، كان ينقلها عن صاحبه ابي العباس القبّاب انه كان يقول في ابن بشير وابن شاس : افسدوا الفقه . وكان يقول : شأني عدم الاعتماد على التقاييد المتأخرة . اما للجهل بمؤلفيها او لتأخر ازمنتهم جدا ، فلذلك لا اعرف كثيرا منها ولا اقتنيته ، وعمدتي كتب الأقدمين المشاهير . ولنقتصر على هذا القدر من بعض فوائده .

الجنسيات في المملكة العثمانية

٢

بينا في المقالة الاولى من هذا البحث ان الحكومة العثمانية الاتحادية تركت في طورها الاخير عقاب من يلهج بالعرب والعربية من اصحاب الجرائد العربية وغيرهم، وان العرب لم يغلوا في إحياء الجنسية العربية كما غلت الجمعيات والجرائد التركية ، التي جاهرت بالدعوة الى كل شيء في الدولة تركيا . بالقول والفعل ، وهجر اسم «العثمانية» ولم نسمع لاحد من كتاب الترك صوتا في انكار هذا الغلو والانتصار للجامعتين الاسلامية والعثمانية على التركية الا لعلي بك كمال ، فقد كتب في جريدة (بيام) ردا على أولئك الغلاة بين فيه ان الحياة التركية ، لا تقوم الا بالجامعة العثمانية السياسية ، وان المجاهرة بحصر كل شيء في الترك والتركية يبعث العرب والكرد وغيرهم من العناصر العثمانية الى مثل هذه الدعوة فلا يبقى للترك شيء . واشتدت المناظرة بينه وبين (اقجورا) وغيره من غلاة الجنسية التركية حتى انتهت الى السباب والشتم

وكان مما كتبه (اقجورا) في (تورك يوردي) بالاستانة في اوائل ربيع الآخر من هذا العام ما ترجمته بالاختصار والاجمال :

«يجب ان نعمد الى الحقائق فنقررها . ما العثمانية ؟ ولماذا لا تقول التركية ؟ أليست العثمانية نسبة الى عثمان التركي ؟ ان الحقيقة تغلب الخيال ، ومن المحال العقلي ان تظل هذه العناصر المتباينة مرتبطا بعضها ببعض وراء ستار وهمي، وتحت اسم خلق بال !